فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "الشباب مشكلات وحلول"

فقه التوبة

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: علي قاسم

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-24429.htm

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ثم أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد –صلَّى الله عليه وسلم–، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الإخوة الكرام والله إني أحبكم في الله، أيها الإخوة الكرام يا شباب الإسلام، يا بنات الإسلام، يا أمة الإسلام أدعوكم اليوم لسماع هذا اللقاء؛ ليس لأنه كلامي ولكنه كلام الله..

كلام الله الذي "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ" فصلت:43، هذا الكلام المبارك الذي يكفل لك السعادة الحقيقية والصحة النفسية التي تسعى إليها في دنياك، والذي يكفل لك إن شاء الله النجاة يوم القيامة يوم الحسرة والندامة.

نعم أيها الإخوة الكرام إننا بحاجة ماسَّة أن نُقبل على الله –تبارك وتعالى–، أن نتوب إلى الله تعالى، أن نئوب إليه في زمان ضعف فيه اليقين. أيها الإخوة: إننا بحاجة إلى تجديد النية والتوبة في صبيحة كل يوم؛ لنلقى الله –تبارك وتعالى– وما بنا من خطيئة، ولنلقاه وهو راضٍ عنا غير غضبان. أيها الإخوة لقاؤنا في هذا اليوم الكريم –إن شاء الله تعالى– حول قضية لماذا نتوب؟

لماذا نتوب؟

يا حبيبي نفسي النهارده تسمعني بقلبك قبل ودانك؛ لعل الله –سبحانه– أن يأخذ بناصيتك إليه، وهو ولي ذلك والقادر عليه. أيها الأخ الكريم اعلم أن الله سبحانه قد أمر عباده بإخلاص التوبة، قال سبحانه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً" التحريم:8، توبوا إلى الله: نداء لك ولكل مسلم موحد، نداء لكِ ولكل مؤمنة ولكل عاصية، نداء لنا جميعًا.

يا جماعة هذا النداء أن نتوب إلى الله، أن نؤوب إلى الله، أن نعود إلى الله، أن نرجع إلى الله، أن تكون قبلتنا ووجهتنا رب العالمين –سبحانه وتعالى–.

معوقات التوبة

- اليأس.. لا تيأس مهما عَظُمَت ذنوبك

نعم أيها الإخوة الكرام من المصائب أن كثيرًا من الناس يتسلل إليهم اليأس يقولك مفيش أمل، لو عملت إيه عمري ما هتوب، يا عم دا أنا عملت بلاوي متلتلة، تلال جبال من الذنوب والمعاصي والكبائر، مفيش أمل، مفيش أمل أبدًا إن ربنا يتوب عليا ويغفرلي وياخد بإيدي.. مين يقول كده؟ مين الكداب اللي بيقولّك كده؟ هتقولِّي شيطاني هقولك طب وهو ينفع تصدق شيطانك برضو؟ ينفع! ده الشيطان ده واخد عهد إنه يضلك، وإنه يغويك، وإنه يفسدك، وإنه يضيعك في الدنيا والآخرة، فهل من العقل أن تستجيب لشيطانك أيها الأخ الكريم أو لشياطين الإنس والجن الذين يفسدون ويضيعون أنفسهم وإخوانهم؟!

- استصغار الذنب

إزاي يابني ماتتوبش؟ يقولك أصل والله أنا مبعملش حاجة ياعم، ده أنا أقل واحد في صحابي، ده كل صحابي واخد له تلت أربع خمس بنات، وبيشرب مخدرات وبيضرب أبوه، وبيشتم أمه، وبيسرق وبيعمل كل البلاوي السوداء دي، ده أنا مبعملش حاجة، إيه يعني مبصليش؟ إيه يعني؟ هو الدين بالصلاة؟ أومال الدين بإيه؟

إزاي يا أختي؟ أختي برضو الكريمة المحترمة الكويسة فعلًا هي إنسانة محترمة فعلًا، فتبقى ماشية في الشارع مثلًا لابسة تونك، ولابسة مش عارف إيه ويعني متبرجة جدًّا لابسة لبس صعب شوية، وحاطة ميك أب وحاطة مش عارف إيه، وحاطة ريحه وماشية في الشارع، فتيجي واحدة تقولها يا أختي البسي تقولها هو الدين باللبس! هو احنا بنعمل حاجة غلط؟! ده أنا صحباتي كلهم مأنتمين ومرتبطين وأنا بنت محترمة جدًّا..

آه أول عائق بيعوقك عن التوبة أيها الأخ الكريم إن إنت تظن إن إنت كويس، إن أنت وصلت لدرجة رضا أوي، كده غلط؟

في البخاري عن أنس –رضي الله عنه– قال: "إنكم لتعملون أعمالًا، هي أدقُّ في أعينِكم منَ الشعرِ، إن كنا لنعدُّها على عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ من الموبقاتِ" صحيح البخاري.

الله دا ده أيام النبي، يعني لو واحد اتأخر عن تكبيرة الإحرام أيام النبي يبقى بيفتكر أنه هو عمل كارثة، أومال الناس اللي موجودة دلوقتي اللي مبتصلييش الجمعة حتي يقولك دا احنا مية مية وقلبي نضيف، ومادام ده أبيض وبتاع ربنا سيبها لله، ومادام مابأذيش الناس أنا كده مية مية، ده واقف فين؟ موقعه فين بالظبط؟

شوف سيدنا النبي –صلَّى الله عليه وسلم– يقول كما في الحديث الحسن قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ" صحيح البخاري.

وحَذَّر النبي –صلَّى الله عليه وسلم– من تحقير الذنب، إن أنت تحقر ذنب هو أنا بعمل حاجة؟ يا عم دي حاجة صغيرة، ياعم كَبَّر دماغك. قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–:

"إياكم ومحَقَّراتِ الذنوبِ، فإنَّما مثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نزلُوا بَطْنَ وادٍ، فجاءَ ذَا بعودٍ، و جاءَ ذَا بعودٍ، حتى حمَلُوا ما أنضجُوا بِهِ خبزَهُم، و إنَّ مُحَقَّراتِ الذنوبِ متَى يُؤْخَذْ بِها صاحبُها تُهْلِكْهُ" صححه الألباني.

عملت النهاردة حاجة حقيرة وماخدتش بالي، وحاجة حقيرة وماخدتش بالي، وحاجة حقيرة ومأخدتش بالي، آه اجتمعوا كلهم بقى على بعض كده فبقوا جبال من الذنوب والمعاصي، سبحان الله! يبقى مينفعش تقول والله أصل أنا يعني كده كويس والأمور ماشية؟ لأ ده غلط.

- الخوف من الالتزام

طيب لما تيجي واحد تقوله إنت ما بتتوبش ليه يا حبيبي؟ يقولك شوف بقى هُمَّ التايبين يعني عملوا إيه؟ قاعدين في قرف وضنك وحياتهم وحشة، وكان واحد أنا أعرفه صاحبي كان مقضيها وكان زي الفل والعملية ماشية معاه حلاوة، وفجأة قالك أما أحود بقى وألتزم وأعرف ربنا، فأول ما دخل الطريق سقط كلية، ومشى شوية في الطريق أبوه حلف على والدته بالطلاق لو محلقش لحيته هيحصل كذا، ولما مشى أكتر شوية كان معاه عربية اتخبطت، مشى شويتين دخل جامع اتسرق، وهكذا..

الكلام دا صح؟ لأ الكلام ده مش صح، دا ده الشيطان بيخَوِّف أولياءه، وأولياؤه بقى بيخَوِّفوا العباد، شياطين الإنس اللي قاعدين يخوفوا الناس ويرهبوا الناس بيعملوا حاجة اسمها رهاب نفسي وفكري؛ الرهاب النفسي إنه يخوفه ويخليه قاعد قَلِق فَزِع ويحسسوه كأنه حرامي، طب والإرهاب الفكري؟ إنه يبث شبهات تطرأ على عقله علشان ميعرفش يثبت على المنهج الصح، سبحان الله!

فيقولك ياعم طب ما أنا أعرف واحد ملتحي وقرفان وزعلان طب ما خلاص، طب ما هو كده احنا الاتنين مع بعض أنا بتسرق وهو بيتسرق، ده غلط..

ممكن يحصل للإنسان ضيق نفسي ده وارد، ممكن يحصل أحيانًا شيء من الأرق والأرف بسبب بعض الأوضاع صح، بس بتزول لما ربنا الملك يأمر إن هي تزول، طب وربنا الملك بيأمر لما بيشوف العبد بيتوجه إليه، يبقى علاج مشكلاتنا إن احنا نرجع لربنا.

"مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، إيه اللي يحصل؟ الجزاء من جنس العمل، فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" النحل:97، الله يبقى حياته بتبقى طيبة.

طب لو حصل مكدرات؟ لازم تحصل، مفيش مانع إن تحصل مكدرات بس مش هتفضل على طول كده، مش هتفضل المكدرات دي ماشية على طول، إن شاء الله –سبحانه وتعالى–، ربنا ياخد بإيد أخونا وهيرجع إن شاء الله – سبحانه وتعالى–، وربنا هيفتح علينا وعليه.

طيب أيضًا يا إخواني الأخ بيقول إن الأخ اللي بيقول إن الأخ التاني الملتزم ده بيحصله مشكلات وبتاع وهو كده زيه، لا هو مش زيك، هو عنده قناعات ممكن ماتبقاش عندك، يبقى إنت محتاج تربي قناعاتك، محتاج تعتقد أن الله هو الذي بيده الضر والنفع، هو الذي يأخذ بأيدي الناس إلى الله، هو الذي يصرف السوء عن الناس، هو الذي ييسر

الخير للناس، هو الذي يكشف البلوى، يبقى هل يستوي هذا مع واحد تاني معتقد إن حتة الحشيش هي اللي بتفرحه؟ إن الزنا هو اللي بيدخل عليه السرور؟ إنه لما يضرب الناس إن هو كده بقى ولد شجاع؟ لا يستويان مثلًا.

سبحان الله رب العرش العظيم واحد يقولِّي لما التزمت لقيت ناس كتير قاعدين يقولولي إيه الهبل اللي إنت بتعمله ده؟ إيه ده؟ ياعم ماتخليك كويس، ياعم ما الناس كلها ماشية، ياعم إنت بقى اللي هتشذ عن الناس؟ سبحان الله هو الالتزام شذوذ يا إخواني؟! النهارده لما أتوب لربنا أبقى إنسان شاذ ولا إنسان كويس؟ سبحان الله دا احنا في زمان الفتن فعلًا، زمان الأعاجيب، الشواذ جنسيًّا يقولك ده إنتوا مية مية، إنما لما يقعد يصلي ويصوم ويزكي ويحافظ على دينه يتقالُّه إيه ياعم دا ما تخليك عادي، ياعم كَبَّر دماغك، إنا لله وإنا إليه راجعون!
لمثل هذا يدق القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ.

أنت بحاجة للتوبة.. فهيا عَجِّل بها

إذاً أيها الأخ الكريم نحن جميعًا في حاجة أن نتوب، إنت متناش حاسس إن إنت قرفان؟ متناش حاسس بالهموم اللي عندك؟ متناش حاسس إن أنت مخنوق؟ متناش حاسس إن إنت محتاج لعناية إلهية تأخذ بيدك وترحمك في زمان لا يُرحم فيه إلا من أخلص وجهته لله؟ مش ناوي تُخلص وجهتك لله؟

أنا سامع واحد بيقول آه إن شاء الله يارب، طب إيه اللي معَطَّلك؟ إن شاء الله بس لما أخلص كليتي بقى والبنات بقى عشان إنت متعرفش الجامعة فيها إيه، الجامعة فيها حاجات صعبة أوي لما أخلص بقى إن شاء الله ربنا ياخد بإيدي كده وأتوب، غلط، من الحاجات الخاطئة المنتشرة وسط الناس إنه يقولك لما أكبر أتوب، مين قالك إن إنت هتكبر؟ ده أكتر ناس دلوقتي أعلى نسب في الموت من الشباب وبيموتوا موت فجأة بدون مقدمات إلا من رحم ربي، طب مش محتاج إن أنا أتوب بقى؟

هتلقى الله ازاي؟ لما أسألك النهارده وأقولك يا صديقي يا حبيب قلبي، يا أختي، يا مسلمة إنتِ وإنت وأنا وكل الناس اللي بتسمعني، ووالدي ووالدتي وأمة الإسلام لو اتقال بكرة إنت هتموت أو أنا هموت إيه اللي أنا قدمته في حياتي؟ أنا قعدت خمسة وعشرين سنة عملت إيه؟ مُكَلَّف وأنا عندي كام سنة؟ 12، 13 سنة؟ طيب يعني إنت 12 سنة مُكَلَّف عملت إيه في ال12 سنة؟ ولا حاجة إلا من رحم ربي، إيه العمل اللي ممكن ألقى الله بيه؟ إنت عملت حاجة؟ تقولي عملت بلاوي، طب ولما أنت عملت بلاوي ما تحاول بقى تتوب بقى يلا..

جميل فيه ناس بدأت تقتنع بكلامي والحمد لله بفضل الله، وفيه ناس لسه، الناس اللي اقتنعت اللهم لك الحمد لله، والناس اللي لسه أسأل الله أن يهديها ويأخذ بناصيتي وناصيتها إليه –سبحانه وتعالى–.
طيب أنا عايز أتوب شروط التوبة إيه؟

شروط التوبة

- الإقلاع عن الذنب

1. الإقلاع عن الذنب، أنا بشرب سجاير عايز أتوب، مينفعش واحد يقولي إيه أصل أنا كنت بشرب أربع علب في اليوم مينفعش أخليهم علبة؟ لأ، اجتهد في إن احنا نقلع عن الذنب، نقلع وفورًا، التوبة تجب على الفور.

- الندم على الذنب

2. تندم على الذنب، اندم، اندم على إن إنت ضيعت وقتك وعمرك في الهم اللي إنت فيه، اندم إن إنت حياتك كلها راحت هدر كده، اندم إن فترة شبابك –اللي هي أخطر فترة في الحياة– ضاعت عشان بنت، وضاعت عشان حتة سيجارة ملغمة، وضاعت عشان مش عارف إيه، وضاعت لما عصيت والدتك، وضاعت لما سرقت صاحبك، وضاعت وضاعت وضاعت.. ضاعت عشان تبقى ستايل، ضاعت عشان تبقى مرتبط بواحدة، ضاعت ليه؟ ليه؟ ليه؟ ألم تسمع بحديث رسول الله: "النَّدَمُ توبةٌ" صححه الألباني.

- العزم الصادق على عدم العودة للذنب

3. العزم الأكيد الصادق على عدم العودة إلى هذا الذنب، بإيه؟ إن أنا أبقى راجل محترم، آخد القرار ومرجعش فيه، أخدت قرار إن أنا ربنا يكرمني وياخد بإيدي معدتش همشي مع بنت تاني، ومعدتش هعمل كدا، ليه معدتش هعمل كده؟ عشان دا عيب وحرام، عيب مفيش راجل بيعمل كدا، وحرام الراجل المسلم ما يعملش كده، فين بس! نص جامعتنا أو تلت أربعها كده مش محترمين، المحترم اللي بيخاف ربنا، اللي خايف على سمعة البنت اللي عايز يرتبط بيها ويتجوزها فعلًا ميعملش كدا صح ولا كلامي غلط؟ اوعى تقول غلط أزعل منك، اوعى لأن لو قلت غلط يبقى أنت بتكذِّب حاجتين: بتكذب الفطرة السليمة وبتكذب ربنا، ينفع؟ لو كذبت الفطرة السليمة ماتبقاش عاقل، ولو كذبت ربنا تبقى مجنون غبي. جميل، يبقى أنت محتاج أن تعزم ألا تعود أبدًا إلى هذه المعصية.

- إعادة حقوق المظلومين

4. أن ترجع حقوق الناس المظلومين الذين ظلمتهم في حياتك، أن ترجعها إليهم.

لو كانت المعصية في حق الله يبقى الثلاثة شروط السابقين بس؛ اللي هو الإقلاع، والندم، والعزم، طيب لو كانت المشكلة بيني وبين واحد صاحبي؟ ميزت واحد صاحبي سرقته كنت قاعد كده عنده في البيت عجبني كده سماعة موبايل فروحت حاططها في جيبي واتوكلت على الله ونزلت، فين ياعم السماعة؟ ده أنا ماشفتش ياعم السماعة، جايز إنت نسيتها ولابتاع، واخد بالك؟

آه يبقى أنت محتاج إن إنت بأسلوب مباشر أو غير مباشر، مباشر لو مش هيزعل منك، طب لو هتحصل فجوة خلاص يبقى بأسلوب غير مباشر توصَّل له الرسالة.

طب أنا اتكلمت عن ناس كتير؛ اتكلمت عن بنات، واتكلمت عن صبيان، واتكلمت عن الجيران، واتكلمت عن أهلي، واتكلمت..، امسك لسانك بقى، ارحمه، حط لسانك جوة بُقك ولا يخرج منه إلا الطيب قدر إمكانك. طيب الناس اللي اتكلمت عنهم؟ في كل مكان تقعد فيه تقول كلام كويس عنهم، طيب لو أنا شربت مخدرات وأنا اللي علمت العيال إنهم يشربوا؟ توب واجتهد على صحابك، وخد بإيديهم عشان ربنا –سبحانه وتعالى– ياخد بإيديك، وهكذا. يبقى إذا كانت المعصية بينك وبين آدمي لازم تعمل الكلام ده.

- أن تكون التوبة لله

طيب فيه شروط تانية؟ آه فيه شروط بعض العلماء قالوها، الشروط اللي احنا قولناها دي كل العلماء قالوها، وفي شروض تانية بعض العلماء قالوها، قالوا كمان من شروط التوبة إن يكون توبة الإنسان لله مش علشان إنه مش قادر على المعصية، أو علشان راحت عليه، أو علشان هو كبر، أو علشان أو علشان، لأ، لازم يكون تائب حقيقة لله – سبحانه وتعالى– ماشي؟

طيب يعني مثال مثلًا لو إن واحد مثلًا تاب عن الزنا علشان عرف إن الزنا بيعمل أمراض كذا وكذا وكذا يبقى تايب لله ولا تايب عشان الأمراض؟ يبقى تاب عشان الأمراض، يبقى مش تائب لله، واحد عرف إن شرب السجاير بيعمل 1 2 3 4 5 6 يبقى تايب علشان ربنا –سبحانه وتعالى– حرم السجائر ولا علشان السجائر دي بتعمل كذا وكذا وكذا؟ إذن إخواني لابد أن نتوب لله خضوعًا.

- الاجتهاد في ترك أماكن المعصية

طب رقم اتنين يا إخواني هنعمل إيه؟ لا بد وأن نجتهد غاية الاجتهاد أن نترك أماكن المعصية، أن نهجر أماكن المعصية لاسيما في فترات الاستقامة الأولى والتوبة الأولى، ليه؟ لأن أنا لو قعدت أقول لنفسي أنا لو روحت المكان دا هقدر أقاوم أبقى كداب لأني لسه قلبي ضعيف، أبقى بالظبط زي اللي إيه، زي اللي عنده أنفلونزا فعنده الأعراض وعنده استعداد كمان يعني مفيش مقاومة ضعيف، فأول ماينزل الشارع إيه اللي يحصل؟ يُفتن، يبقى لازم ياخد باله. إذن يا أخي الكريم لابد وأن تهجر أماكن المعصية.

- أن يُذَكِّر نفسه دومًا بأهمية التوبة وضرر المعصية

طيب وكذلك قال لابد وأن يذكِّر نفسه دومًا بأوراد قرآنية ونبوية وآثار سلفية عن التوبة، اكتبها كل شهر يقرأها عشان يجدد توبته، جميل، طيب ويكتب كمان آثار المعصية ومن ذلك ما ساقه ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه الداء والدواء، الكتاب دا جميل أوي ياريت نقرأه، قال ابن القيم –رحمه الله تعالى– عن أضرار المعاصي:

"ومن أضرار المعاصي: حرمان الذكر، والوحشة في القلب، وتعسير الأمور، ووهن البدن وحرمان الطاعة، ومحو البركة، وقلة التوفيق، وضيق الصدر، وتولد السيئات، واعتياد الذنوب، وهوان المذنب على الناس، ونعت الناس له، وأنه يُذَّل ويطبع على قلبه، ويدخل تحت اللعن، وتُمنع إجابة دعائه، ويفسد فسادًا عظيمًا، بل وقد يصاب بانعدام الغيرة،

ويصاب أيضا بزوال النعم، وحلول النقم عليه وعلى أهله وذويه وأصحابه، ويصاب بالرعب، كذلك يقع في أسر الشيطان، وقد تحدث له –والعياذ بالله– سوء الخاتمة فيموت على المعصية وبالتالي يعذب في الأخرة" شفت بلاوي المعصية؟ نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية.

- المبادرة إلى التوبة

كذلك يا إخواني من شروط التوبة أن يبادر العبد إلى التوبة، ولذلك لايجوز لأحد، لا يجوز لأحد مهما علا كعبه أن يتأخر عن التوبة إلى الله –عز وجل–.

- الخشية على التوبة من النقص

أيضًا من شروط التوبة أن يخشى التائب على توبته من النقص، إنت عارف الراجل التاجر بيعمل إيه؟ بيبقى معاه رأس مال عشرة آلاف جنيه مثلًا، فبيبقى خايف على العشرة آلاف جنيه دول جدًّا؛ لأن دول رأس ماله، عايز يزَوِّدهم ماينقصهمش، كذلك التائب لازم يخاف على رأس ماله، ولازم يحرص على ألا ينقص.

- استدراك ما فات في حق الله

كذلك من شروط التوبة استدراك ما فات في حق الله –عز وجل–، استدراك ما فات في حق الله –عز وجل–، إن كان ذلك ممكن ياعم، شد حيلك وأخرج الزكاة اللي إنت مكنتش بتطلعها قبل كدا، شوف الأيام اللي إنت فطرتها في رمضان بغير عذر، اجتهد بقى على غض البصر بعد ما كانت عينك دي زي الرادار عَمَّالة تبص يمين وشمال، توب لربنا وخليك عفيف، متعملش العادة السرية، توب، توب واستدرك ما فاتك بقى، وأيقين أن "التوبة تَجُب ما قبلها" صححه ابن باز، كما أخبر النبي –صلَّى الله عليه وسلم–.

- الأخذ بالأسباب العملية المعينة على التوبة

أيضًا حتى يُعان التائب على التوبة لابد من الأخذ بالأسباب العملية، زي إيه؟ زي الإكثار من العبادة:

1– اذكر كتير، صلِّ كتير، اجتهد في حاجات كده كويسة تقربك من ربنا –سبحانه وتعالى–.

طيب رقم 2–: لازم يفارق كل أعوانه اللي بيعينوه على المعصية إلا لو حس إن هُمَّا ربنا بدأ يهديهم معاه، إنما مينفعش واحد لسه في بداية الاستقامة ويرجع لأصحابه، ممكن يضيعوه، ممكن يضيع.

لازم يُكلب المحرمات الموجودة عنده، أنا دلوقتي راجل مريض إيدي دي بتقعد تلعب في البيانو، وتلعب في الكمنجة والحاجات دي، الحاجات دي ربنا –سبحانه وتعالى– يكرهها ويبغضها أعمل فيها إيه؟ أكلبها، أحاول أُفسد استعمالها وأستفيد بيها في حاجة تانية؛ يعني ممكن مثلًا أعمل حاجه من الكمانجه مثلًا أعمل حصالة من الكمانجه، واخد بالك، اعمل حاجة تستفيد بيها، الله يكره إضاعة المال، إنما مينفعش أبيعها، إنت لو بعتها لواحد كده هيعمل إيه؟ هيقعد

يدندن عليها، ماينفعش، طب يبقى الحل إيه؟ إن الله يكره إضاعة المال واخد بالك إنت؟ أنا عندي مثلًا مش عارف إيه كنت بتفرج عليه على حاجة حرام، خلاص بدل واخد بالك إنت ازاي.

طيب ممكن إن أنا أتعرف على ناس صحابي يكونوا ناس كويسين؟ آه، اعمل عملية إحلال وإبدال وإحلال وإبدال سيبك من أصحابك اللي كانوا وحشين قبل كدا، وابدأ اتعرف على المحترمين الملتزمين المستقيمين، ودول مش هتعرفهم إلا في المساجد اللي فيها التزام، المساجد اللي فيها حِرْص على نَشْر السنة، تبدأ تتعرف على إخوانك، تبدأ تقترب منهم، تبدأ تتعلم معاهم، تبدأ تزور معاهم المرضى، تبدأ تنطلق في صنائع المعروف، تشوف أسر فقيرة تقدر ترعاها، تبدأ تشتغل، تبدأ تلعب رياضة، تبدأ تعمل توازن حقيقي بين الدين والدنيا، وبالتالي ميبقاش عندي وقت فراغ، وبالتالي ميبقاش عندي معصية.

- أن تكون التوبة في زمانٍ تصح فيه منه التوبة

وأخيرًا: لا بد وأن يعزم الإنسان أن تكون التوبة في زمانٍ تصح فيه منه التوبة؛ وهي قبل طلوع الشمس من مغربها وقبل الغرغرة.

لو تبت ربنا هيقبلني؟

طيب أنا لو تبت ربنا ممكن يقبلني؟ آه إن شاء الله –سبحانه وتعالى– يقيننا أن الله –سبحانه وتعالى– سيقبلك، قال تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" الزمر: 53، كلمة جميعًا دي حط تحتها كل حاجة، كل حاجة، "إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" –سبحانه وتعالى–، وقد قال النبي –صلَّى الله عليه وسلم–: "من تاب قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مغرِبِها، تاب اللهُ عليه" صحيح مسلم، تاب الله عليه، سبحان الله رب العرش العظيم!

طب شوف كدا، شوف كده لما ماعز بن مالك الأسلمي صحابي جليل جدًّا جه لسيدنا النبي –عليه الصلاة والسلام– ، وكان –والعياذ بالله– وقع في الزنا مع المرأة الغامدية، واخد بالك إنت ازاي، وجُم للنبي –عليه الصلاة والسلام– واعترفوا بين إيد النبي –عليه الصلاة والسلام– فأُقيم الحد على المرأة الغامدية وعلى ماعز، واخد بالك إنت ازاي؟ فكان من ضمن الناس اللي قاعدين بيشوفوا الحد وبيرجموا هؤلاء كان سيدنا خالد بن الوليد –رضي الله تبارك وتعالى عنه–، فسيدنا خالد رمى المرأة الغامدية دي يا إخواني بحجر، فجه الحجر في رأسها، فسيدنا خالد بن الوليد مستحملش لما شاف الدم بييجي بقى عليها، وبعد كدا انتظر فجه عليه، فسيدنا خالد سبها وشتمها، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– وقف فقال له: "مهلاً يا خالدُ! فوالذي نفسي بيدِه! لقد تابت توبةً، لو تابها صاحب مُكْسٍ لغُفِرَ لهُ" صحيح مسلم،

وفي رواية: قال عمر يا رسول الله –دي في رواية تانية بقى–، سيدنا عمر بقى إيه تضجر وغضب من هذه المرأة، فقال النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لعمر: "لقد تابت توبةً لو قسمت بينَ سبعينَ من أَهلِ المدينةِ لوسعتْهم وَهل وجدتَ شيئًا أفضلَ من أن جادت بنفسِها للَّهِ" صححه الألباني.

إذن يا إخواني من الممكن أن يكون هذا العاصي التائب أصدق لله –عز وجل– منا جميعًا، فـ يلا شد حيلك واعلم أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن التوبة تهدم ما قبلها في أثناء السير إلى الله –عز وجل–.

أسئلة حول التوبة والإجابة عليها

والتوبة يعني هناك أسئلة يسألها كثير من إخواننا نعرض لها سريعًا ثم نختم لقاءنا إن شاء الله –تبارك وتعالى–.

– مطاردة الأصحاب القدامى للتائب

ومن ذلك إن بعض إخواننا اللي بيلتزموا أو بيبدأوا يتوبوا إلى الله –سبحانه وتعالى– من المعاصي وعايزين إن هُمَّ يقبلوا على الله –سبحانه وتعالى– بيقولوا إنهم لما بييجوا يتوبوا أصحابهم القدام بيطاردوهم، عايزين يرجَّعوهم، وده طبعًا شيء طبيعي؛ لأن دي سنة كونية وهي سنة الدفع بين الخير والشر، فالإنسان الشرير الوحش مبيحبش إن يبقى فيه حد أحسن منه كما قال عبد الله بن عباس: "وَدَّتْ البغي: أي المرأة الزانية لو بغت النساء"، إن كل النساء يبقوا كده – والعياذ بالله تعالى–.

فيجب أن نجتهد وأن نأخذ بأيدي أنفسنا إلى الله –عز وجل–، وحتى لو كل صحابي حاولوا لازم أكون راجل صابر وأعمل عملية إحلال وإبدال، إن أنا أصاحب ناس تانية وأتعرف على بيئات تانية، وأبدأ بقى أدخل معاهم علشان أقفل الباب بالقفل والترباس ورايا ميعرفوش يخشوا ليا تاني –إن شاء الله تبارك وتعالى–، ماشي يا إخواني؟

إنما أنت لو روحت لأصحابك تاني أصحابك القدام هيعملوا ايه؟ هيقعدوا يفكروك بقى تيجي تقوله صلِّ يقولك الله يرحم ياعم الحج، تيجي تقوله صوم يقولك هتعملي فيها مؤمن، هتلاقيه كل شوية بيفكرك بالماضي، فتحس إنه بييأسك وبيعين الشيطان عليك، فده سؤال مهم لازم تنتبهوا ليه.

– سخرية الأصحاب القدامى من التائب

طيب أصحابي بقوا بيتريقوا عليا إيه ياعم الشيخ الله يرحم، آه فأنا بقى لما بسمع الكلام دا بتقرف فخلاص عايز أرجع، غلط، غلط، بس أنا عمري ما أستحمل إن حد يتريق عليا، هو حد بيتريق عليك؟ دا بيسخر من نفسه، اللي بيعمل كده إنسان مجنون، إنسان سفيه، والسفيه والمجنون مش عليهم حرج.

قال الله عز وجل: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ

الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" الإنشقاق36:29. إذن يا إخواني نحن بحاجة ماسة إلى الله –تبارك وتعالى–، بحاجة إن احنا نعلم، طب لو واحد بيتريق عليا أنتهز الفرصة دي دعويًّا؛ شكرًا ياعم، ربنا يبارك فيك، جزاكم الله خيرًا، عند الله الموعد بيني وبينك.

– تهديد الأصحاب القدامى للتائب بالفضيحة

طيب كل ما أحاول أتوب أصحابي القدام يقولوا هنفضحك، هنروح في كل حته ونوري صورك على الموبايلات والكلام ده أعمل إيه؟ هقولك لا تبتئس، وجاهد هؤلاء الذين لا يحبون لك الخير ممن "يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا" النور:19، جاهدهم ومتستجيبش لضغوطهم أبدًا أبدًا أبدًا، استعن بالله –سبحانه وتعالى– عليهم، والله –سبحانه وتعالى– يقول: "وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" الحج:78.

طيب ولو عملوا كدا قول للناس يا جماعة أنا كنت إنسان وِحش وربنا تاب عليا يا جماعة، فإذا كان ربنا بيغفر الذنوب كيف لا يغفر العباد لهؤلاء، وكلنا خطاؤون، والنبي –صلَّى الله عليه وسلم– يقول: "كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ" حسنه الألباني، الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله، إذن يا إخواني لا نستهين بهؤلاء.

طيب وربنا هيدافع عننا؟ آه ربنا هيدافع عننا، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" الحج:38.
طيب لو حصل الكلام دا يبقى ابتلاء من الله، ربنا عايز يرى منك الصدق، هل أنت فعلًا راجل صادق؟ هل أنت فعلًا راجل عايز الخير؟ هل أنت فعلًا راجل تحتاج أو تحب تنصر دين الله –سبحانه وتعالى–؟ ماشي يا إخواني، فدي نقطة مهمة جدًّا جدًّا جدًّا جدًّا.

– مطاردة ذنوب التائب له

فيه واحد تاني بيقول لما بتوب الذنوب بتاعتي بتطاردني وكل شوية أتذكرها؛ آجي أصلي أفتكر البنت اللي كنت بقعد معاها، آجي أصوم أفتكر مش عارف إيه، آجي أذكر أفتكر كلمة أنا قُلتها، نقولَّك يا أخي الكريم أبشر فهذه المشاعر من دلائل التوبة الصادقة؛ لأن دا هو الندم اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– قال عليه.

طيب بس الحاجات دي بتعمل لي نوع من أنواع اليأس إن ربنا عمره ما يغفرلي، لأ أقولك غلط ده من الشيطان بقى، لا يأس طول ما أنت حي، لا يأس من روح الله –سبحانه وتعالى– "إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" يوسف:87، وقال تعالى: "وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ" الحجر:56، وقال ابن مسعود –رضي الله تعالى عنه–: "أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله".
يبقى الواحد لما يشوف الحاجات دي أو تطارده، أو تيجي على خاطره يقول الحمد لله والشكر لله، ويستغفر الله، ويسأل الله –سبحانه وتعالى– من فضله.

- هل أعترف للناس بذنوبي أم لا؟

طيب فيه واحد تاني بيقول أنا نفسي أتوب وأنا عملت بلاوي كتير؛ زنيت وسرقت وشربت ومش عارف إيه، هل فعلًا يجب عليا إن أنا أعترف؟ يعني لو أنا مثلًا رايح أتقدم لواحدة أقعد معاها وأقولها أنا عايز أعترفلك بحاجة؟ لأ الكلام دا غلط، يجب أن تستر على نفسك، يجب عليك أن تستر على نفسك إلا أن تكون في بلد تقام فيها الحدود، فلك أن تذهب إلى القاضي أو ولي الأمر أو من ينوب عنه حتى يقام عليك الحد فتُطهَّر في الدنيا، طيب لو كنت في بلد مبتقامش فيها الحدود خلاص اتقوا الله ما استطعتم، أحسن فيما بقى يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقى.

- العودة للذنب بعد التوبة

طيب في واحد بيقولك أنا أُذنب بس كل ما أتوب بقع في نفس الذنب، أذنب وأتوب، أذنب وأتوب، أذنب وأتوب، بس كل شوية أرجع أقع في نفس الذنب، نقوله يا مولانا لا يشترط في صحة التوبة، ليس من شروط التوبة ألا يعود المذنب إلى نفس الذنب مرة أخرى، وإنما صحة التوبة تتوقف على الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الجاد على ترك معاودته، طب لو حصل إن حصل ضعف بشري ورجعت بعد شهر أو شهرين؟ تب إلى الله، واعلم أن النبي – صلَّى الله عليه وسلم– يقول: "إنَّ الله لا يملُّ حتى تَمَلُّوا" صححه الألباني.

- هل يمكن التوبة من ذنب مع فعل ذنوب أخرى؟

طيب واحد بيقول هل ينفع إن أنا أتوب من ذنب وأنا مُصِّر على حاجات تانية؟ مُصِّر يعني بعمل حاجات تانية هل ينفع؟ آه لا يُشترط إن أنت تتوب من كل الذنوب مرة واحدة؛ يعني لو واحد مثلًا بيتعامل مع بنك ربوي وله علاقات نسائية وله مش عارف إيه، فجه يقول والله أنا هتوب من العلاقات النسائية بس لسه ربنا يعيني على نفسي وأقدر أتوب من البنك ينفع؟ آه ينفع، توب وربنا يكرمك وياخد بإيدك.

- ماذا أفعل لو قمت بسرقة صديقي؟

طيب لو أنا كنت سارق واحد صاحبي، وصاحبي دا يعني إيه سرقته، كنت بشتغل عنده في محل ولا بتاع فسرقته ومش عارف إيه وكلام من دا فبيقولي أعمل إيه؟ هقولك توب إلى الله –سبحانه وتعالى– وشد حيلك، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك كل ذنوبك وأن يتوب عليك وأن يرحمك.

طيب والفلوس دي أعمل فيها إيه؟ خلاص توكل على الله واحسبها ورجعها، طيب مش عارف أحسبها، بغلبة الظن، طب أرجعهاله إزاي؟ أرجعهاله إيد لإيد؟ آه، طب لو مقدرتش لو عرف هيفضحني وممكن تحصل قطيعة بيني وبينه، ابعتهاله عن طريق البريد، ابعتهاله عن طريق أي حد، المهم تتبعت له، طيب صاحبها مات، صاحب الفلوس دي مات وأنا مش عارف إن أنا أوصلهاله، وصلها لأهله، مش عارف أهله، خلاص يا أخي تصدق بيها وتوكل على الله وأسقط هذا الذنب من عليك.

- تداخل التجارة الحرام مع الحلال

طيب لو أنا ببيع مخدرات، ببيع سجاير، ببيع مش عارف إيه، وعندي تجارة تانية، تجارة مع تجارة، زي واحد عنده محل بقالة وبيبيع الحاجات دي، حكم الفلوس إيه؟ حكم الفلوس إن فيها حلال وفيها حرام، فتخلَّص من كل المال الحرام وتب إلى الله –سبحانه وتعالى– منها، وبعد كدا ربنا يبارك لك في المال الحلال.

- ماذا أفعل لأتوب من الرشاوي؟

طيب واحد بياخد رشاوى كتير، بيشتغل في الحكومة وقالَّك الحكومة دي فلوسها مش جايبة همها، فأنا محتاج إن أنا أتوب لربنا –سبحانه وتعالى–، أعمل إيه عايز أتوب، طب أعمل إيه؟ نقوله توب إلى الله –سبحانه وتعالى–، ولازم الفلوس ترجع لكل واحد مظلوم إنت ظلمته وضغطت عليه وأخدت منه الفلوس، لازم ترجع الفلوس دي لصاحبها، طب أنا أخدتها من واحد ومعرفوش، خلاص تصدق.

- الجهل بالذنب

ماشي طيب الشخص اللي بيعمل أعمال محرمة ومش عارف، خلاص الكلام ده كان قديم وهو مش عارف يعمل إيه؟ يستغفر الله ويتوب إلى الله –سبحانه وتعالى– قدر إمكانه، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يتوب علينا جميعًا يارب العالمين.

- كيف أتوب من الزنا؟

طيب التوبة من الزنا، واحد كان له علاقة ببنت وبتاع وزنا معاها –والعياذ بالله تبارك وتعالى– يعمل إيه؟ نقولُّه إن الموضوع ده هيبقى ليك حالة فيه من حالتين:

إما إنك زنيت بامرأة اغتصابًا وإكراهًا فهذا عليك فيه أن تدفع مهر مثلها، تدفع لها مهر المثل، يعني إيه مهر المثل؟ يعني البنات في مكانك وفي عُرفك وفي بلدك بيندفع لهم إيه غالبًا؟ بيندفعلهم كذا وكذا وكذا مهر، يبقى البنت دي تاخد مهر المثل لِما وقع عليها من ضرر، مع التوبة الصدوق والإكثار من الحسنات الماحية للسيئات؛ لإن أنت وقعت في مصيبة كبيرة.

طيب لو كانت البنت دي أنا زنيت معاها برضاها فهذا لا يجب عليه إلا التوبة ولا يُلحق الولد به مطلقًا، لو كانت حامل ما يُلحقش به الولد؛ لأن الرسول –عليه الصلاة والسلام– قال: "الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحجرُ" صحيح مسلم، ماشي يا إخواني؟ والله سبحانه يقول: "الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" النور: 3، ولا يجوز شرعًا إن إنت تعقد على امرأة في بطنها جنين من الزنا حتى لو كان منك، كما لا يجوز أبدًا أبدًا أبدًا لك أن تتزوجها إذا كانت مقيمة على الزنا، طب لو تابت وإنت تبت أجاز الشافعي –رحمه الله تعالى– إن إنتوا الاتنين تتجوزوا إذا تبتم إلى الله –سبحانه وتعالى–.

- ماذا أفعل فيما لديَّ من أدوات المعصية؟

طيب لو أنا عندي أدوات موسيقية، بشتغل مثلًا في معهد موسيقى ومش عارف إيه وكلام من دا أعمل إيه في الحاجات دي؟ زي ما قُلت لك لا يجوز لك أن تبيعها، طب أعمل إيه؟ أجتهد غاية الاجتهاد إن أنا أستخدمها في الحلال، طب مفيش مش عارف خالص، اجتهد في إتلافها؛ لأن الله –عز وجل– حرم عليك أن تتعاون على الإثم والعدوان.

لنجدد جميعنا التوبة ونعلم أن الله غفور رحيم

أرجو الله –عز وجل– بهذه الكلمات أن أكون يعني فتحت الباب أمام كل إنسان، وأمام كل بنت، وأمام كل ولد، وأمام أمة الإسلام، لنجدد جميعًا التوبة سواء أكنا قدامى في هذا الباب، أو لسه مبتدئين، أو لسه بره خالص ربنا يهدينا جميعًا يارب، ويهدي أمة الإسلام جميعًا يارب، ويرد الجميع إلى الحق الذي يرضيه يارب العالمين.

وأنا إن شاء الله أُبشِّر بأن الله –عز وجل– يرحم من عباده من يتوب إليه، فأنا عايزك النهارده تشد حيلك يلا وتعلن توبتك لله –سبحانه وتعالى–، وأنا عايز أختي برضو تشد حيلها وتعلن توبتها لله –سبحانه وتعالى–، وأُبشِّر الجميع بقَوْل النبي –صلَّى الله عليه وسلم–: "قال تعالى: يا عبادي إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا. فاستغفروني أغفرُ لكم" صحيح مسلم.

دعاء الخاتمة

أسأل الله أن يغفر لي ولكم، وأن يجعلنا مفاتيح للخير ومصابيح للهداية، وأن يهدينا وأمة الاسلام إلى الحق الذي يرضيه، اللهم اهدنا وأمة الإسلام إلى الحق الذي يرضيك، وخُذ بناصيتنا وأهل الإسلام جميعًا إليك أَخْذ الكرام عليك، اللهم طهِّر مجتمعات المسلمين من الزنا والربا والقنا والفواحش ماظهر منها وما بطن يارب العالمين، واجعل هذا المجلس سبيل هداية لكل من سمعه يارب العالمين، اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم تب على كل عاصٍ مسلم، وتب على كل عاصية مسلمة يارب العالمين، اللهم اهدنا إلى الحق الذي يرضيك، ومسِّكنا بالحق حتى نلقاكَ يارب العالمين.

هذا وصلَّى الله على محمد، والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36